عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ
رضي الله عَنهُ

عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُود

وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ عَامَ إحْدَى وَثَلَاثِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِاثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَعَاشَ بَعْدَهُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، إِذْ تُوُفِّيَ عَامَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ فِي مَطْلَعِ العَامِ الثَّالِثِ وَالثَّلَاثِينَ، وَعَاشَ مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثاً وَسِتِّينَ سَنَةً.

أَبُوهُ مَسْعُودُ بنُ غَافِلِ بنِ حَبِيبٍ مِنْ هُذَيْلٍ الَّتِي كَانَتْ دِيَارُهَا عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّمَالِ وَالشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا. وَأُمُّهُ مِنَ القَبِيلَةِ نَفْسِهَا، وَهِيَ أُمُّ عَبْدٍ بِنْتُ عَبْدِ وُدٍّ، فَهُوَ هُذَلِيُّ النَّسَبِ أُمَّاً وَأَبَاً . وَجَدَّتُهُ لِأُمِّهِ هِيَ هِنْدُ بِنْتُ عَبْدِ الحَارِثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلَابٍ، وَلِهَذِهِ الصِّلَةِ مَعَ بَنِي زُهْرَةَ القَبِيلَةِ القُرَشِيَّةِ المَعْرُوفَةِ فَقَدْ حَالَفَ أَبُوهُ مَسْعُودُ بنُ غَافِلٍ بَنِي زُهْرَةَ. وَقَبِيلَةُ بَنِي زُهْرَةَ إِحْدَى بُطُونِ قُرَيْشٍ البَارِزَةِ وَمِنْهَا أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ. وَمِنْهَا سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

تُوُفِّيَ مَسْعُودٌ وَلَمْ يُدْرِكِ الإِسْلاَمَ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ صَغِيراً فَرَعَى الغَنَمَ لِرِجَالِ قُرَيْشٍ بِالأُجْرَةِ.

أَمَّا أُمُّهُ أُمُّ عَبْدٍ فَقَدْ أَسْلَمَتْ، وَهَـاجَرَتْ، وَرَوَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدِيثَ صَلاَةِ الوِتْرِ. وَفَرَضَ لَهَا عُمَرُ عَطَاءً، فِي جُمْلَةِ النِّسَاءِ المُهَاجِرَاتِ.

أَمَّا إِخْوَتُهُ فَقَدِ اشْتَهَرَ مِنْهُمْ عُتْبَةُ بنُ مَسْعُودٍ، شَقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ مِنَ المُسْلِمِينَ الأَوَائِلِ، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ أَخِيهِ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ بَدْرٍ، وَشَهِدَ أُحُداً وَمَا بَعْدَهَا، وَتُوُفِّيَ فِي خِلاَفَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ.

وَتَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ زَيْنَبَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مُعَاوِيَةَ الثَّقَفِيَّةَ، وَرَوَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدِيثَ خُرُوجِ المَرْأَةِ إِلَى المَسْجِدِ، وَحَدِيثَ الصَّدَقَةِ عَلَى الزَّوْجِ وَالأَقَارِبِ، وَلَهُ غَيْرُهَا مِنَ النِّسَاءِ وَلَكِنْ لَمْ يَشْتَهِـرْنَ، وَأَنْجَبْنَ لَهُ. وَمِنْ أَشْهَرِ أَبْنَائِهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَكْبَرُ أَوْلاَدِهِ، وَبِهِ يُكَنَّى، وَأُمُّهُ «زَيْنَبُ». وَلَهُ عَدَدٌ مِنَ الأَحَادِيثِ، إِذْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ، وَغَيْرِهِمْ، وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ

الأَوْلَادِ: القَاسِمُ وَمَعْنٌ، وَقَدْ رَوَيَا الحَدِيثَ.

وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَاسْمُهُ عَامِرٌ، وَرَوَى عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ.

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَحِيفاً، قَصِيراً، شَدِيدَ الأُدْمَةِ، وَكَانَ لَا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ. وَيُعَدُّ فِي أَذْكِيَاءِ العُلَمَاءِ.

عَنْ زَرِّ بنِ حُبَيْشٍ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكاً مِنَ الأَرَاكِ ـ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ـ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ القَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»(١).

إِسْلَامُ عَبْدِ اللَّهِ

أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ.

قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَادِسَ سِتَّةٍ وَمَا عَلَى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٩٩١.

ظَهْرِ الأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرُنَا. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَعْرِفَ كُلَّ مَنْ أَسْلَم، وَكَذلِكَ لَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهُ، فَلَمْ يَكُنِ المَرْءُ عِنْدَمَا يُسْلِمُ يَتعَرَّفُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَسْلَمَ، حَيْثُ كَانَتِ الدَّعْوَةُ سِرِّيَّةً، وَمَنْ يُسْلِمْ يَعْرِفُ مَنْ يَلْتَقِي بِهِمْ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ لاَ يُوجَدُ مُسْلِمُونَ غَيْرَهُمْ، وَلِهَذَا وَرَدَتْ عِبَارَاتٌ لِعَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ هَذَا القَوْلِ، عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ يَقُولُ، وَأَبُو ذَرٍّ يَقُولُ، و. . . عَدَدٌ يَقُولُ: كُنْتُ الرَّابِعَ، وَالثَّالِثَ، والسَّادِسَ، وَهَذَا شَأْنُ العَمَلِ السِّرِّيِّ.

التَّعَرُّفُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ زَيْدِ بنِ وَهَبٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ عَلِمْتُهُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِمْتُ مَكَّةَ مَعَ عُمُومَةٍ لِي، أَوْ أُنَاسٍ مِنْ قَوْمِي، نَبْتَاعُ مِنْهَا مَتَاعاً، وَكَانَ فِي بُغْيَتِنَا شِرَاءُ عِطْرٍ، فَأَرْشَدُونَا عَلَى العَبَّاسِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ، وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى زَمْزَمَ، فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الصَّفَا، أَبْيَضُ تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ، لَهُ وَفْرَةٌ(١) إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ، أَشَمُّ، أَقْنَى، أَذْلَفُ(٢)، أَدْعَجُ(٣) العَيْنَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَايَا،

---

(١) وفرة: شعر كثيف.

(٢) صفة في الأنف: يكون قصيراً مع انبطاح.

(٣) أدعج: شديد سواد العين.

دَقِيقُ المَسْرُبَةِ[1]، شَثْنُ[2] الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَبْيَضَانِ، كَأَنَّهُ القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَمْشِي عَلَى يَمِينِهِ غُلاَمٌ، حَسَنُ الوَجْهِ مُرَاهِقٌ أَوْ مُحْتَلِمٌ. تَقْفُوهُمْ امْرَأَةٌ قَدْ سَتَرَتْ مَحَاسِنَهَا، حَتَّى قَصَدَ نَحْوَ الحَجَرِ، فَاسْتَلَمَ، ثُمَّ اسْتَلَمَ الغُلاَمُ، وَاسْتَلَمَتِ المَرْأَةُ. ثُمَّ طَافَ بِالبَيْتِ سَبْعاً، وَهُمَا يَطُوفَانِ مَعَهُ، ثُمَّ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَكَبَّرَ، وَقَامَ ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ. فَرَأَيْنَا شَيْئاً أَنْكَرْنَاهُ، لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ بِمَكَّةَ، فَأَقْبَلْنَا عَلَى العَبَّاسِ فَقُلْنَا: يَا أَبَا الفَضْلِ، إِنَّ هَذَا الدِّينَ حَدَثٌ فِيكُمْ، أَوْ أَمْرٌ لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ مَا تَعْرِفُونَ هَذَا، هَذَا ابنُ أَخِي مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِاللَّهِ، وَالغُلاَمُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالمَرْأَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَتُهُ، أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُ اللَّهَ بِهَذَا الدِّينِ إِلَّا هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ[3].

عَنْ ذَرِّ بنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ: كُنْتُ أَرْعَى غَنَماً لِعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعِيطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» قُلْتُ:

---

(١) المسرُبة: ما دقّ من شعر الصدر.

(٢) شثن الكفين والقدمين: يميلان إلى القصر مع ضخامة.

(٣) لم يكن العباس بن عبد المطلب ليعرف كل من أسلم. إذ كان الذين يدخلون في الإسلام يسلمون سراً.

نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فهلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُعَلَيْهَا الفَحْلُ؟» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحلَبَ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلُصْ» فَقَلُصَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا القَوْلِ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»(١).

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ بِالقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ يَحْيَى بنِ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: اجْتَمَعَ يَوْماً أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا القُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ: أَنَا، قَالُوا: إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلاً لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ القَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ، قَالَ: دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي، قَالَ: فَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى المَقَامَ فِي الضُّحَى وَقُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهَا، حَتَّى قَامَ عِنْدَ المَقَامِ ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ـ رَافِعاً بِهَا صَوْتَهُ ـ «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ»، قَالَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَؤُهَا، قَالَ: فَتَأَمَّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَاذَا قَالَ ابنُ أُمِّ عَبْدٍ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالُوا:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/٤٦٥. وكان هذا الحديث بعد أن أسلم عبد الله وقد زاد إمعاناً في النظر إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ووصفه بناء على ذلك، إذ لا يمكن أن يصفه لأول مرة بهذه الصورة ـ والله أعلم ـ .

إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَثَّرُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمُ الآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لأُغَادِيَنَّهُمْ بِمِثْلِهَا غَداً، قَالُوا: لاَ، حَسْبُكَ قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ(١).

وكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ، وَاشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَطَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِسْلاَمِ بَعْضِ طُغَاةِ الجَاهِلِيِّينَ لَعَلَّهُ يَرْتَفِعُ الظُّلْمُ عَنْ صَحَابَتِهِ، وَيَقُولُ ابنُ مَسْعُودٍ: «مَرَّ المَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ: صُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ، وَعَمَّارٌ، وَخَبَّابٌ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ ضُعَفَاءِ المُسْلِمِينَ(٢)، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَرَضِيتَ بِهَؤُلاَءِ مِنْ قَوْمِكَ؟ أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا؟ اطْرُدْهُمْ عَنْكَ، فَلَعَلَّكَ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَنْ نَتَّبِعَكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٣٦.
(٢) كان سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود مع هؤلاء الأربعة، وهم الستة نفر الذين نزلت فيهم.

عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ. وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾[1].

وَكَمَا تَعَرَّضَ ابْنُ مَسْعُودٍ لِلأَذَى البَدَنِيِّ تَعَرَّضَ كَذَلِكَ لِلأَذَى النَّفْسِيِّ، وَلْنَنْظُرْ إِلَى حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى رَسُولِهِ يَلْحَقُ بِهِ الأَذَى وَلاَ يَسْتَطِيعُ عَمَلَ شَيْءٍ إِلاَّ أَنَّ قَلْبَهُ يَكَادُ يَتَفَطَّرُ وَتَكَادُ تَخْرُجُ رُوحُهُ حُزْناً وَغَمّاً أَنْ لاَ يَفْعَلَ شَيْئاً يَقُولُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ ـ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ[2] جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ، فَيَأْخُذَهُ فَيَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ[3] فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ،

---

(١) سورة الأنعام. الآيتان (٥٢ ـ ٥٣).

(٢) سلا: جلدة فيها الولد من الناس والمواشي.

(٣) هو عقبة بن أبي معيط.

فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتُمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ـ وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثاً، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثاً ـ ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضَّحِكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيد بنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ) وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى القَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ.

وَيُرْوى أَنَّهُ حَضَرَ لَيْلَةَ الجِنِّ، وَيُحَدِّثُ هُوَ بِذَلِكَ فَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَصْحَابِهِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْضِرَ أَمْرَ الجِنِّ اللَّيْلَةَ فَلْيَفْعَلْ). فَلَمْ يَحْضُرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرِي، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى مَكَّةَ، خَطَّ لِي بِرِجْلِهِ خَطّاً، ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أَجْلِسَ فِيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَامَ، فَافْتَتَحَ القُرْآنَ فَغَشِيَتْهُ أَسْوِدَةٌ كَثِيرَةٌ حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، حَتَّى مَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ، ثُمَّ طَفِقُوا يَتَقَطَّعُونَ مِثْلَ قِطَعِ السَّحَابِ ذَاهِبِينَ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهُمْ رَهْطٌ، فَفَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، مَعَ الفَجْرِ، فَانْطَلَقَ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَال: (مَا فَعَلَ الرَّهْطُ؟) فَقُلْتُ: هُمْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُمْ عَظْمَاً وَرَوْثَاً زَاداً، ثُمَّ نَهَى أَنْ يَسْتَطِيبَ أَحَدٌ بِرَوْثٍ أَوْ عَظْمٍ[1].

كَمَا يُرْوَى أَنَّهُ شَهِدَ المَلاَئِكَةَ[2] يَوْمَاً حِينَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَاجَرَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ أَيْ فِي المَجْمُوعَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي خَرَجَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَهَاجَرَ مَعَهُ أَخُوهُ عُتْبَةُ بنُ مَسْعُودٍ، غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ مَنْ رَجَعَ، وَمِنْ مَكَّةَ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ. أَمَّا أَخُوهُ عُتبَةُ فَقَدْ بَقِيَ فِي الحَبَشَةِ وَمِنْهَا انْطَلَقَ إِلَى المَدِينَةِ فَوَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ فَلَمْ يَشْهَدْهَا.

وَفِي مَكَّةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ.

وَلَمَّا آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي المَدِينَةِ

---

(١) ذكره ابن كثيرٍ في تفسيره، كما أورد ذلك الطبري.
(٢) روى ذلك الترمذي.

بَيْنَ المُسْلِمِينَ آخَى بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ وَبَيْنَ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَفِي رِوَايَةٍ بَيْنَ ابنِ مَسْعُودٍ وَسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، وَالأَوَّلُ هُوَ الأَرْجَحُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - .

فِي الجِهَادِ

شَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَبَدَاً.

وَقَدْ أَجْهَزَ عَلَى أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَيَقُولُ: «فَأَتَيْتُ أَبَا جَهْلٍ وَبِهِ رَمَقٌ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ؟) فَانْطَلَقْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاء حَتَّى بَرَدَ[1]، فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ ؟ وَأَخَذْتُ بِلِحْيَتِهِ، وَهُوَ صَرِيعٌ وَقَدْ ضُـرِبَتْ رِجْلُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، - قَالَ: وَلَا أَهَابُهُ عِنْدَ ذَلِكَ - فَقَالَ: هَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ - أَوْ قَالَ: قَتَلَهُ قَوْمُهُ - فَلَوْ غَيْرَ أَكَّارٍ[2] قَتَلَنِي؟ قَالَ: فَضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي،

---

(١) برد: الأصل مات أي برد جرحه ومات، وجاءت هنا بمعنى مصيره الموت، إذ سبق وقال: وبه رمق.

(٢) أكّار: حراث وقد قتله ابنا عفراء من الأنصار، ومهنة أهل المدينة الزراعة في الأرض والحراثة فيها. وكانت قريش تحتقر أهل الصناعة والزراعة، ومثل ذلك أهل البادية يحتقرون أهل الصناعات، ويفخرون بأهل الحرب والتجارة.

وَسَيْفُهُ فِي يَدِهِ، فَلَمْ يُغْنِ شَيْئاً، فَبَصَقَ إِلَى وَجْهِي، وَقَالَ: سَيْفُكَ كَهَامٍ[١]، خُذْ سَيْفِي فَاحْتَزْ بِهِ رَأْسِي مِنْ عُرُشِي[٢]، فَأَجْهَزْتُ عَلَيْهِ، فَنَفَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَيْفَهُ لَمَّا أَجْهَزْتُ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ أُثْخِنَ، قَالَ: وَكَانَ عُتْبَةُ قَدْ أَشَارَ عَلَى أَبِي جَهْلٍ بِالانْصِرَافِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: قَدِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ[٣] مِنَ الخَوْفِ، فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ: سَيَعْلَمُ مُصْفَرٌّ اسْتِهِ أَيُّنَا انْتَفَخَ سَحْرُهُ.

وَفِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ كَانَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ كَانَ مَعَهُ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ إِلَى الأَعْدَاءِ، وَثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَ تَفَرَّقَ عَنْهُ المُسْلِمُون لِمَا أَصَابَهُمْ..

وَثَبَتَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ أَيْضاً يَوْمَ حُنَيْنٍ مَعَ ثَمَانِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَرُبَّمَا لَا يَتَصَوَّرُ المَرْءُ هَذَا الرَّجُلَ، هَذَا المُسْلِمَ النَّحِيلَ الرَّقِيقَ يَثْبُتُ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْقِفِ الَّذِي تَهَابُ الأَبْطَالُ الوُقُوفَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ الإِسْلَامُ الَّذِي يَجْعَلُ النُّفُوسَ

---

(١) هام: الثعبان: منظره مخيف وجسمه لين، وسيف ابن مسعود يصفه أبو جهلٍ بأن منظره بسيف ولكن لا يفعل شيئاً

(٢) عُرُشي: أصل عنقي. وفي أصل المعنى لحمتان مستطيلتان بجانب العنق، أو في أصلها.

(٣) السحْر: الرئة.

تَسْمُو بِأَصْحَابِهَا وَتَرْتَفِعُ عَنْ دُنْيَاهَا فَلَا تَخَافُ شَيْئاً وَلَا تُبَالِي بِأَمْرٍ.

وَتُوُفِّيَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

خِدْمَةُ عَبْدِ اللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ

أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ صَغِيرٌ فَلَازَمَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَامَ عَلَى خِدْمَتِهِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ وَلِيَسْتَفِيدَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِمَّا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ، وَمِمَّا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ. وَقَدْ أَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَنَّى شَاءَ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَسْمُوحِ فِيهَا بِالزِّيَارَةِ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الحِجَابُ، وَأَنْ تَسْتَمِعَ سَوَادِي[1] حَتَّى أَنْهَاكَ)[2].

كَانَ يَخْدُمُهُ فِي بَيْتِهِ، وَيَقُولُ ابنُ مَسْعُودٍ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا

---

(١) سوادي: شخصي.

(٢) رواه مسلم ٢١٦٩، وأحمد في مسنده ٣٦٨٤.

اسْتَيْقَظَ صِرْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الحَصِيرِ شَيْئاً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)(١).

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَسْتُرُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اغْتَسَلَ، وَيُوقِظُهُ إِذَا نَامَ، وَيَمْشِي مَعَهُ فِي الأَرْضِ وَحْشاً(٢).

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُلْبِسُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَعْلَيْهِ، ثُمَّ يَمْشِي أَمَامَهُ بِالعَصَا، حَتَّى إِذَا أَتَى مَجْلِسَهُ نَزَعَ نَعْلَيْهِ، فَأَدْخَلَهُمَا فِي ذِرَاعَيْهِ، وَأَعْطَاهُ العَصَا، فَإِذَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَقُومَ أَلْبَسَهُ نَعْلَيْهِ ثُمَّ مَشَى بِالعَصَا أَمَامَهُ، حَتَّى يَدْخُلَ الحُجْرَةَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

وَكَانَ يُقَدِّمُ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِذَا ذَهَبَ إِلَى الخَلَاءِ، وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَتَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الغَائِطَ،

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٧٠٩.

(٢) وحشاً: وحده.

طبقات ابن سعد: ١٥٣/٣.

(٣) طبقات ابن سعد ١٥٣/٣.

فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ، وَالْتَمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَأَخَذَ الحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ، وَقَالَ: (إِنَّهَا رِكْسٌ)[1].

وَكَانَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَى المَدِينَةِ يَظُنُّونَ أَوَّلَ الأَمْرِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يَقُولُ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ اليَمَنِ، فَمَكَثْنَا حِيناً مَا نَرَى إِلَّا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ يَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَطْ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ القُرْآنَ وَأُمُورَ العِبَادَةِ، وَالحَلاَلَ والحَرَامَ، وَالأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ، إِذْ كَانَ يَسْأَلُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَخْطُرُ لَهُ، فَيَسْأَلُ مَثَلاً فَيَقُولُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (الصَّلاَةُ عَلَى مِيقَاتِهَا). قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ)، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

---

(١) رواه البخاري، والترمذي والنسائي.

فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي[1].

وَيَسْأَلُ مَثَلاً عَنِ الظُّلْمِ فَيَقُولُ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الظُّلْمِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: (ذِرَاعٌ مِنَ الأَرْضِ يَنْتَقِصُهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ، فَلَيْسَتْ حَصَاةٌ مِنَ الأَرْضِ أَخَذَهَا إِلاَّ طُوِّقَهَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى قَعْرِ الأَرْضِ، وَلاَ يَعْلَمُ قَعْرَهَا إِلاَّ الَّذِي خَلَقَهَا)[2].

وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ، فَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي ذَلِكَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اقْرَأْ عَلَيَّ)، قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قَالَ: (إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)، قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً ﴾، قَالَ لِي: (كُفَّ) أَوْ (أَمْسِكْ) فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرُفَانِ[3].

وَتَلَقَّى ابْنُ مَسْعُودٍ القُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُشَافَهَةً، وَلَمَّا كَانَتْ مُلاَزَمَتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

---

(١) متفق عليه، كما رواه الترمذي والنسائي وأحمد.
(٢) رواه أحمد في مسنده ٣٧٦٧.
(٣) متفق عليه كما رواه أحمد في مسنده.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَوِيلَةً لِذَا فَقَدْ أَصْبَحَ لَدَيْهِ الشَّيْءُ الكَثِيرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ مُبَاشَرَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَالَ فِي هَذَا: وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِضْعاً وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ(١).

وَفَوْقَ كُلِّ هَذَا لَقَدْ حَضَرَ العَرْضَةَ الأَخِيرَةَ الَّتِي عَارَضَ فِيْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالقُرْآنِ مَرَّتَيْنِ. فَعَنْ أَبِي ظِبْيَانَ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ: أَيُّ القِرَاءَتَيْنِ تَقْرَأُ؟ قُلْتُ: القِرَاءَةَ الأُولَى، قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ، فَقَالَ: أَجَلْ، هِيَ الأَخِيرَةُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَعْرِضُ القُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَحَضَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ، فَعَلِمَ مَا نُسِخَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا بُدِّلَ(٢).

وَلَا شَكَّ فَإِنَّ مُلَازَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ لِرَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه النسائي.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْذِهِ القُرْآنَ مِنْهُ مُشَافَهَةً، وَمُتَابَعَتَهُ فِي الصَّلاَةِ، وَحَجِّهِ مَعَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ كُلُّ ذَلِكَ جَعَلَهُ عَالِماً بِأُمُورِ الدِّينِ، عَارِفاً بِالتَّفْسِيرِ، وَأَسْبَابِ النُّزُولِ، وَالنَّاسِخِ وَالمَنْسُوخِ، حَافِظاً لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مَعَ الخُلَفَاءِ

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ بِجَانِبِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ عَاصَرَهُمْ يَسِيرُ حَسْبَمَا يُوَجِّهُونَهُ وَحَيْثُ تَقْتَضِي المَصْلَحَةُ، وَقَدْ شَارَكَ فِي الفُتُوحَاتِ وَكَانَ مَعَ القَادَةِ يُعَلِّمُ وَيَنْصَحُ وَيَتَّجِهُ بِأَوَامِرِ أُولَئِكَ القَادَةِ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عِنْدَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ المُسْلِمِينَ بَعْثُ أُسَامَةَ الَّذِي كَانَ قَدْ جَهَّزَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، فَقَلَّ حُمَاةُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ.

وَجَاءَ إِلَى المَدِينَةِ وَفْدُ مَانِعِي الزَّكَاةِ يُفَاوِضُونَ الصِّدِّيقَ لإِعْفَائِهِمْ مِنْ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَقَرَّرَ حَرْبَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لاَحَظُوا قِلَّةَ الحُمَاةِ فَطَمِعُوا فِي المَدِينَةِ، وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى قَبَائِلِهِمْ أَطْمَعُوهُمْ فِي حَرْبِ المُسْلِمِينَ وَمُدَاهَمَةِ المَدِينَةِ وَشَنِّ الغَارَاتِ عَلَيْهَا، غَيْرَ أَنَّ الصِّدِّيقَ قَدْ تَوَقَّعَ

هَذَا مُنْذُ أَنْ خَرَجُوا مِنْهَا فَأَخَذَ حِذْرَهُ وَاسْتِعْدَادَهُ فَجَعَلَ عَلَى أَنْقَابِهَا بَعْضَ الصَّحَابَةِ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ أَحَدَهُمْ، وَكَانَ مِنْهُمْ عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ.

وَجَاءَتِ الغَارَاتُ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَظْفَرْ بِشَيْءٍ بَلْ رُدَّتْ خَاسِرَةً، وَعَادَ جَيْشُ أُسَامَةَ ظَافِرَاً، وَجَاءَتِ الصَّدَقَاتُ، وَجَهَّزَ الصِّدِّيقُ الجُيُوشَ لِقِتَالِ المُرْتَدِّينَ، فَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنْ مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَالمُرْتَدِّينَ، وَتَطَهَّرَتْ جَزِيرَةُ العَرَبِ.

وَبَعَثَ الصِّدِّيقُ الجُيُوشَ لِقِتَالِ الرُّومِ وَالفُرْسِ لِأَدَاءِ المُهِمَّةِ المُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِ المُسْلِمِينَ فِي مُحَارَبَةِ الظُّلْمِ، وَالطُّغَاةِ، وَالعَمَلِ عَلَى نَشْرِ الإِسْلَامِ، وَقَدِ انْخَرَطَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي الجُيُوشِ الَّتِي سَارَتْ إِلَى الشَّامِ. وَكَانَ فِي مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ مَسْؤُولاً عَنِ الغَنَائِمِ.

وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ وَانْطَلَقُوا إِلَى الشَّمَالِ، وَفَتَحُوا دِمَشْقَ، وَحِمْصَ. وَبَعْدَ دُخُولِ حِمْصَ أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى الخَلِيفَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فِي المَدِينَةِ خُمْسَ الغَنَائِمِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ مَعَ بِشَارَةِ الفَتْحِ وَخَبَرِ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ فِي فِرَارِهِ وَانْسِحَابِهِ إِلَى الجَزِيرَةِ حَيْثُ وَصَلَ إِلَى (الرُّهَا) فَهُوَ يَظْهَرُ تَارَةً وَيَخْتَفِي أُخْرَى. وَوَصَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِلَى المَدِينَةِ وَأَدَّى

مَا مَعَهُ مِنْ رَسَائِلِ القَائِدِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَخْمَاسِ الغَنَائِمِ ، غَيْرَ أَنَّ الخَلِيفَةَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَدَّ ابْنَ مَسْعُودٍ إلى الشَّامِ .

وَصَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِلَى حِمْصَ وَأَخَذَ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ أَمْرُ الخَلِيفَةِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الكُوفَةِ لِيَكُونَ مُعَلِّماً وَمُسَاعِداً لِوَالِيهَا الجَدِيدِ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ الَّذِي تَولَّى أَمْرَهَا بَعْدَ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَامْتَثَلَ الأَمْرَ وَسَارَ إِلى الكُوفَةِ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ الخَلِيفَةُ كِتَابَهُ إِلَى أَهْلِ الكُوفَةِ وَيَقُولُ فِيهِ: «إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ أَمِيراً، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّماً وَوَزِيراً، وَإِنَّهُمَا مِنَ النُّجَبَاءِ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ عَلَى بَيْتِ مَالِكُمْ، ؛ فَتَعَلَّمُوا مِنْهُمَا، وَاقْتَدُوا بِهِمَا، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ عَلَى نَفْسِي».

وَأَخَذَ ابنُ مَسْعُودٍ يُعَلِّمُ النَّاسَ فِي الكُوفَةِ، فَيُحَدِّثُ فِي الجَامِعِ كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ حَيْثُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ المَلأُ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي الأُسْبُوعِ حَتَّى لاَ يَملَّ النَّاسُ. وَمَنْ يُرِيدُ مِنْهُمُ الزِّيَادَةَ يَذْهَبُ إِلَى ابنِ مَسْعُودٍ حَيْثُ كَانَ يُعَلِّمُ مَنْ يُرِيدُ القُرْآنَ، وَيُفَقِّهُهُمْ حَتَّى كَانَ لَهُ تَلامِذَةٌ كِبَارُ مِنْهَا. إِضَافَةً إِلَى هَذَا

كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ لِحَلِّ مُشْكِلاَتِهِمْ فَيُجِيبُ فَتَعَلَّمَ النَّاسُ مِنْهُ حَتَّى صَارَ بِحَقٍّ إِمَامَ أَهْلِ الكُوفَةِ.

وَتَرَكَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ وِلاَيَةَ الكُوفَةِ وَتَوَلَّى أَمْرَهَا مِنْ بَعْدِهِ المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ قَدْ بَقِيَ فِيهَا أَمِينَ بَيْتِ المَالِ، وَالمُعَلِّمَ وَالمُرَبِّيَ.

وَتُوفِّيَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وَتَوَلَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ بَعْدَهُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، وَبَقِيَ المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ فِي الإِمْرَةِ كَمَا بَقِيَ ابنُ مَسْعُودٍ فِي مَكَانِهِ. وَبَعْدَ سَنَةٍ مِنْ خِلاَفَةِ عُثْمَانَ رَجَعَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَمِيراً عَلَى الكُوفَةِ بِنَاءً عَلَى وَصِيَّةِ الخَلِيفَةِ السَّابِقِ.

اخْتَلَفَ سَعْدُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ فَتَرَكَ سَعْدُ الإِمَارَةَ، وَتَوَلَّى وِلاَيَةَ الكُوفَةِ مَكَانَهُ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعِيطٍ فَبَقِيَ فِيهَا خَمْسَ سَنَوَاتٍ وَبَابُهُ لَمْ يُغْلَقْ، وَاسْتَمَرَّ ابنُ مَسْعُودٍ فِي عَمَلِهِ.

وَاخْتَلَفَ ابنُ مَسْعُودٍ مَعَ الوَلِيدِ الَّذِي تَرَكَ الوِلاَيَةَ وَجَاءَ إِلَى إِمْرَتِهَا سَعِيدُ بنُ العَاصِ، غَيْرَ أَنَّ ابنَ مَسْعُودٍ قَدِ اسْتَمَرَّ فِيهَا.

ثُمَّ جَاءَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ أَمِيراً عَلَى الكُوفَةِ بَعْدَ سَعِيدِ بنِ العَاصِ، وَبَقِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي مَكَانِهِ. وَهَكَذَا عَاصَرَ ابنُ

مَسْعُودٍ سِتَّةَ وُلَاةٍ عَلَى الكُوفَةِ، وَهُمْ: عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ، وَالمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَالوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ، وَسَعِيدُ بنُ العَاصِ ، وَأَبُو مُوسَى الأَشْعِرِيُّ، وَكُلُّهُمْ قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرَاً، وَكَانُوا عَلَى خَيْرِ مَا تَكُونُ الصُّحْبَةُ، وَإِذَا ذَكَرْنَا خِلَافَاً وَقَعَ فَهَذَا مِنْ طَبِيعَةِ البَشَرِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ مُتَلَازِمَيْنِ مُدَّةً لَيْسَتْ قَصِيرَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَلَمْ يَكُنِ الخِلَافُ عَلَى اجْتِهَادٍ أَوْ رَأْيٍ أَوْ فِكْرٍ وَإِنَّمَا عَلَى كَلَامٍ عَادِيٍّ يَقَعُ بَيْنَ الإِخْوَةِ.

بَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ فِي الكُوفَةِ مُدَّةَ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً مُنْذُ أَنْ سَارَ إِلَيْهَا سَنَةَ عِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ مَعَ وِلَايَةِ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ عَلَيْهَا إِلَى أَنِ اسْتَدْعَاهُ الخَلِيفَةُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانُ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، فَسَارَ وَوَجَدَ فِي طَرِيقِهِ أَبَا ذَرٍ يَحْتَضِرُ فِي الرَّبَذَةِ، فَشَهِدَ مَوْتَهُ، وَدَفَنَهُ، ثُمَّ تَابَعَ السَّيْرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَسَارَ مَعَ عُثْمَانَ إِلَى المَوْسِمِ . وَعِنْدَمَا رَجَعَ تُوفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي المَدِينَةِ فِي مَطْلَعِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالثَّلَاثِينَ. وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ.

وَيُقَالُ: إِنَّ ابنَ مَسْعُودٍ أَوْصَى الزُّبَيْرَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ.

عَنْ عَامِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: أَوْصَى ابنُ مَسْعُودٍ وَكَتَبَ: إِنَّ وَصِيَّتِي إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ ، وَإِلى ابْنِهِ

عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، وَإِنَّهُمَا في حِلٍّ وَبِلٍّ مِمَّا قَضَيَا فِي تَرِكَتِي، وَإِنَّهُ لاَ تُزَوَّجُ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِي إلاَّ بِإِذْنِها.

وَلَمَّا مَرِضَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ عَادَهُ عُثْمَانُ، وَقَالَ: مَا تَشْتَكِي؟ قَالَ: ذُنُوبِي، قَالَ: فَمَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: رَحْمَةُ رَبِّي، قَالَ: أَلاَ آمُرُ لَكَ بِطَبِيبٍ؟ قَالَ: الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي، قَالَ: أَلاَ آمُرُ لَكَ بِعَطَاءٍ؟ قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيْهِ.

دَخَلَ الزُّبَيْرُ عَلَى عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَعْطِنِي عَطَاءَ عَبْدِ اللَّهِ، فَعِيَالُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَقُّ بِهِ مِنْ بَيْتِ المَالِ. فَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفاً.

وَسُئِلَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ عَنِ ابْنَةٍ، وَابْنَةِ ابْنٍ، وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَللأُخْتِ النِّصْفُ، وَإِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ سَيُتَابِعُنِي. فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ. أَقْضِي فِيْهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَلاِبْنَةِ الابْنِ السُّدُسُ، تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلأُخْتِ. فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى وَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحِبْرُ فِيْكُمْ[1].

(١) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والدارمي.

قَالَ عَلْقَمَةُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ يُمْلِي المَصَاحِفَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ. فَفَزِعَ عُمَرُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ انْظُرْ مَا تَقُولُ. وَغَضِبَ، فَقَالَ: مَا جِئْتُكَ إِلَّا بِالحَقِّ. قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ. فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ أَحَدَاً أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّا سَمَرْنَا لَيْلَةً فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ وَفِي بَعْضِ مَا يَكُونُ مِنْ حَاجَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ، بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى المَسْجِدِ إِذَا رَجُلٌ يَقْرَأُ، فَقَامَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْتَمْتَ، فَغَمَزَنِي بِيَدِهِ: اسْكُتْ، قَالَ: فَقَرَأَ وَرَكَعَ وَسَجَدَ، وَجَلَسَ يَدْعُو وَيَسْتَغْفِرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَلْ تُعْطَهْ)، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ رَطْبَاً كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ) فَعَلِمْتُ أَنَا وَصَاحِبِي أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَيْهِ لأُبَشِّرَهُ، فَقَالَ: سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ، وَمَا سَابَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ إِلَّا وَسَبَقَنِي(١).

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ لِابْنِ مَسْعُودٍ أَرْبَعَةً وَسِتُّونَ حَدِيثَاً، انْفَرَدَ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

البُخَارِيُّ بِوَاحِدٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثَاً مِنْهَا، وَمُسْلِمٌ بِخَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ حَدِيثاً. وَأَخْرَجَ بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ لَهُ مَعَ المُكَرَّرِ أَرْبَعِينَ وَثَمَانَمِائَةِ حَدِيثٍ.